

## تدريب حول: قصة "وحشون الكبير الشرير"

### منال حنيطي

قصة وحشون الكبير الشرير، قصة لطيفة عن وحش مسالم، يخشاه ويفرّ منه الجميع بمجرد رؤيته أو سماع اسمه، حتى اعتاد العيش وحيدا، وفجأة اقتحمت حياته فتاة صغيرة علمته معنى الصداقة والرفقة..

ربما كانت الكاتبة إنجريد شابير تخاطب الكبار من خلال أدب الصغار، بما يرمي له النص من معان عميقة، حول العلاقات، والحكم على الآخر، واختلاف الطبائع، وأهمية الصداقة، وأثر القراءة وغيرها من القيم.

والملفت في القصة المترجمة من الفرنسية، هو علاقة النص بالصور، حيث استطاع الرسام : جوريدي، أن يعبر عن النص بذكاء ومنحه العمق والإيحاء؛ فعلاقة الرسم بالنص ملفتة من حيث التكامل الذي يظهر من بداية القصة، أي أن الرسم يمنح النص بعدا أعمق حيث يؤكد من خلال صور تتكون من عناصر رمزية تثير خيال القارئ وتدفعه للتأمل في حقيقة المشهد، فالمقطع الأول حين يعلن الراوي أن ما من أحد تأكد انه ذئب أو يشبه ذئبا، جاءت الصورة جزئية لذيل وحشون وجزء من جسده الأسود فقط أي أنه وحش مجهول، ثم عندما يصف رعب الناس منه عندما يلتقون به فنرى صورة بسيطة موحية، تتكون من نظارة ملقاة أرضا ومشعل نار وأداة زراعة إلى جانب آثار أقدام وحشون، بما يوحي انه بمجرد مروره من هنا أحدث من الرعب ماجعل الناس يلقون أدواتهم ويفرون هاربين..

ثم عندما ينفي عنه الراوي أكل أحد البشر أو حتى مجرد عضّ ساق أحدهم نجد الصورة تنتقل من مقطع مواجه للوحش الأسود الضخم إلى صورة جانبية له وهو يجلس بجسده الممتلئ مسالما على العشب حاملا بيده نبتة صغيرة مما يوحي بلطف طبعه، ثم متوسطا النهر مسترخيا في الماء وحوله الفراشات الصفراء في صورة تؤكد على ما يقود إليه النص بالترجيح من إichاءات حول حقيقة وحشون المسالمة.

وتأتي بعدها الصورة المرهفة التي عبرت عن مشاعر وحشون بما وراء النص حيث تظهر الفتاة الصغيرة ذات الرداء الأحمر، وتخاطبه بكل جرأة حيث اللقطة الأولى التي عبرت عن دهشته بما يشبه الصدمة من خلال جمود حركته وإغلاق فمه الكبير وحركة العين المعبرة عن الدهشة، ثم تنقلب الصورة ليقف مغضبا أو متغاضبا بما يعبر عنه الرسم أيضا بحركة الحاجب مع العين وظهور الاسنان الكثيرة مع اليد في الصورة والتي رغم ظهورها وحركتها كانت صغيرة بشكل ملفت وبلا مخالب بما يوحي -ربما- بحقيقة طبعه المسالم.

هذه الفتاة التي اختارت الكاتبة أن ترمز فيها ربما لشخصية ليلى الحمراء مع الذئب، ولكن من منظور جديد، يتناسب مع عصر جديد، اختلف نظرته لكل شيء، تمرد على كل قديم، ويسعى لإعادة تقييم كل ما كان من جديد، القصة بطبعها العربية في العام 2015، فهي قصة حديثة إذن، لعلها أرادت أن تجعلنا نغير وجهة نظرنا في كل ما كنا نعدده خطرا ربما لأننا لم نكن نعرفه حقا! وهذا ما يشير له الراوي في وصفه لما حدث مرارا، كالقول: " ما من أحد يعرف، وما من أحد تحقق -من كونه ذئبا-"، ثم بالتأكيد بذكر حقيقة: " أنه لم يأكل يوما أحدا منهم، بل لم يعرض ساق أحدهم"، ومن ثم بوصف شعوره تجاه الناس وصرخاتهم وبما يجب فعله يوميا من أمور خالية من الإيذاء والوحشية، هل تشير الكاتبة لأبعاد أعمق حول أثر الإعلام في تضخيم الصور السلبية؟! ربما..

وبالعودة للصور يُظهر التناقض بين حجم وحشون وحجم الفتاة، ذكاء الرسام بعدم الجمع بينهما في صورة واحدة في البداية ليتمشى القارئ مع الحوار الذي يرسخ ابتداء الصورة الأولية عن وحشية وحشون، فيظهر جزء من جسمه يوحى بضخامته وطوله في مقابل رسم الفتاة التي ترفع رأسها لتخاطبه ويظهر تناقض حجمهما، ثم يأتي التعبير عن عاصفة عواه برسم لأوراق وحببات تراب متطايرة كأنما ليوحى أن غضبه المفعل لاشئ في الحقيقة ليتماهى مع النص وردة فعل الفتاة التي تعاملت بكل برود مع عوائه وتأتي الصورة القريبة هنا للفتاة لتظهر شعرات سوداء تتطاير بينما تحملق الفتاة مفتوحة العينين في وحشون دون أن تتراجع ولو قليلا، ثم تأتي الصورة التالية بفك وحشون مفتوحا ليظهر صفًا أنيابه المدببة معبرا عن محاولة وحشون اقناع الفتاة بوحشيته وخطورته،

لكن الفك المفتوح أفقيا والممتلى بالهواء قد يوحي بأنه كان يهدد ويتوعد فحسب، فأنيابه لم تتجه نحو الفتاة حقا، وكما يبدو واضحا في النص من أنّ الفتاة غير مقتنعة بأدائه الوحشي، فهي تتسلى بمداعبة الأزهار دون خوف بينما هو يهدد ويتوعد! وهكذا يظهر وحشون في الصورة التالية وقد أغلق فكه واحتفظ بتعبير الغضب في عينه طاردا الفتاة ومكتفيا بالإشارة لها بيده أن تذهب بعيدا، حيث يظهر طرف يده في الصورة التالية ليحافظ الرسام على أسلوبه في تجنب الجمع بينهما، ليستمر الإيحاء بضخامته في مقابل ضآلتها، وحينما تقرر الفتاة الانسحاب يعبر الرسم بطريقة لطيفة حيث ترفع قدما واحدة ربما استعدادا للمغادرة وربما استخفافا بالوحش،

وحينها تضع الفتاة الكتاب عند قدميه، ويصف الراوي ارتبائه لتلقي أول هدية في حياته، نجد قدميه ثابتتين، وذيله مرخي، ربما ليعبر عن صدمته واستسلامه أمام الفتاة الصغيرة التي لا يفتأ النص يكرر وصف ضآلتها، بالمقارنة معه.

ثم تتكرر صورة وحشون في إطار واحد ربما لتعبر عن تفاعله مع الكتاب في وقت قصير، ويظهر مرة جالسا يقرأ بتركيز، ومرة مسترخيا داعم العين تأثرا، ليكون كما وصفه النص قد اعترف لنفسه بالتغيير الذي اعتراه.

وتعود الفتاة للظهور، فيعتريه الارتباك حين تسأله إن كان مازال مصرا على رفض صداقتها.. فيتنهد ويتهرب من الإجابة لكن بما يوحي برغبته في صداقتها وقربها، فيأتي الرسم بصورته منبسطا أرضا رافعا رأسه ومبعدا نظره وباسطا الكتاب على بطنه، بما يوحي باستعداده للقليلة حقا ليثبت كلامه، ممسكا بزهرة صغيرة بين أسنانه بما يوحي أيضا ببراءته ورقته الخفية -وربما بتمسكه بما يقول-، وحين تعلن الفتاة أن رغبة النوم مشتركة، تأتي الصورة التي تنام فيها في حضن وحشون، الذي ورغم إغلاقه لعينه إلا أن يده تحتضن الفتاة الصغيرة بما يمهد للصورة التالية وتعبير الراوي الذي، يبين سعادته الكبيرة بهذه الرفقة والصداقة والمحبة، حيث يناظر النص -الذي يتحدث عن إشراقة الابتسامة في أعماقه- بشكل قلب أسود كبير، يحيط بالمساحة البيضاء، التي توحي كم هو داخل هذا الوحش الأسود أبيض وملئ بالعاطفة المكبوتة الخفية.

مرة أخرى تذكرني القصة برواية وشخصية مشهورة في أدب الأطفال هي الأمير الصغير، ليس فقط من ناحية مخاطبة فئة غير محددة العمر، فعلى الرغم مما قد يوحيه إخراج القصة وطبيعة الرسوم والعنوان من اقتصارها على فئة عمرية صغيرة، إلا أن لغة القصة والقيم التي تحملها تخاطب الكبار أيضا كما الأمير الصغير، كما أن مشهد تقرب الفتاة من الوحش على الرغم من اختلاف الأسلوب إلا أنه يذكر بمشهد تقارب وتآلف الأمير الصغير والثعلب.

وعلى الرغم من الأحداث المحدودة، التي لا تكاد تذكر، وتنحصر في يومياته وحيدا، ثم لقاء الفتاة والحوار الذي دار بينهما، ومن ثم اللقاء مجددا في اليوم التالي، أي محدودية الزمان أيضا، -كما ان المكان محصور في البر الذي يعيش فيه بما يمكن اعتباره غابة ما- حيث يحدث التغير الداخلي لدى وحشون بطل القصة، إلا أن القصة تحمل فكرة عميقة وتعالجها ببساطة وعمق في آن معا.

لكن باعتقادي أن في هذه الفكرة تشويش للطفل الصغير، الذي لا يستطيع أن يتعامل بخبرة الكبار مع الأبعاد العميقة والخيوط المتشابكة للنفس البشرية، فإما أن نقول له أن هذا الحيوان مفترس، متوحش،.. أو أنه أليف ، لطيف..

ولكن بما أن لغة القصة —هي لغة المترجم أنطوان طعمة- القوية المعبرة، أعلى من سن الأطفال الصغار، كما هو واضح في استخدام الكثير من التعبيرات، مثل: "ما من أحد"، "سواء من أو"، "غير أنه لم.."، "أي بادرة خوف تلوح" ..

فالقصة إذن تخاطب غالبا عمرا أكبر، بفكرة يستطيعون استنتاجها والتفاعل معها، وتتخلص بأن وحشون الذي يلقب بالكبير الشرير، مظلوم من البشر الذين تسرعوا بالحكم عليه بلا دليل، ولذلك يعيش وحدة وانعزال يتعايش معه، حتى يكتشف يوما قيمة الصداقة، ولكن طبيعته المعتادة التي ربما ساهمت في تكوينها انفعالات الناس، تجعله لا يعترف بمشاعره الداخلية ويخفيها، بل يتعامل بضعدها، وهذا يعني أن علينا أن نتعلم عدم التسرع في الحكم على فظاظة الآخرين أو ظاهرهم القاسي، أو ما يظهرونه عموما، وأن نطرق باب الصداقة بإصرار، وبلا يأس.